ميمـونــة

* نسبها

هى ميمونة أخت إبراهيم بن أحمد الخواص لأمه

كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم فى الزهد والورع والتوكل

* متى يرجع ؟

ذات ضحى دق داق باب إبراهيم الخواص

فقالت ميمونة :

ـ من تطلب ؟

فقال :

ـ إبراهيم الخواص

فقالت ميمونة :

ـ قد خرج

فقال :

ـ متى يرجع أبو إسحاق ؟

قالت ميمونة :

ـ من روحه بيد غيره من يعلم متى يرجع ؟

* كانت لهم الأرض متسعا

دخل إبراهيم الخواص على أخته ميمونة وهى تصلى فجلس حتى فرغت من صلاة الضحى فقال لها :

ـ إنى اليوم ضيق الصدر

obeikandl.com

فقالت ميمونة :

ـ من ضاق قلبه ضاقت عليه الدنيا بما فيها ألا ترى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُم﴾ [سورة التوبة الآية : ١١٨]

لقد كانت لهم الأرض متسعا ولكن لما ضاقت عليهم أنفسهم ضاقت عليهم بما فيها الأرض

* أتفضل ضمان يهودى على ضمان الله عز وجل ؟

تقول ميمونة :

اعتكف عابد فى مسجد ولم يكن له معلوم

فقال له إمام المسجد :

ـ لو اكتسبت كان خيرا لك وأفضل

فلم يجبه العابد

فأعاد إمام المسجد عليه قوله ثلاثا

فقال العبد :

ـ دع الملك للمالك

فقال فى الرابعة :

ـ بجوار المسجد يهودى قد ضمن لى فى كل يوم رغيفين ، فإن كان صادقا فى ضمانه فقعودك فى المسجد خير لك

فقال العابد :

ـ يا هذا : لو لم تكن إماما لكان خيرا لك ، أتفضل ضمان يهودى على ضمان الله عز وجل ؟

obeikandl.com

* الذى جاء بك عرف بينى وبينك

تقول ميمونة :

قال أبو إسحاق :

سلكت البادية ستة عشر طريقا على غير الجادة ، فأعجب ما رأيت فيها رجل ليس له يدان ولا رجلان ، وعليه من البلاء عظيم ، وهو يزحف زحفا ، فتحيرت منه ، وسلمت عليه فقال لى :

ـ وعليك السلام يا إبراهيم

فقلت له :

ـ بم عرفتنى ولم ترنى قبلها ؟

قال الرجل :

ـ الذى جاء بك عرف بينى وبينك

فقلت :

ـ صدقت

ثم سألته :

ـ إلى أين تريد ؟

قال الرجل :

ـ إلى مكة

قلت :

ـ ومن أين أنت ؟

قال الرجل :

ـ من بخارى

obeikandl.com

فبقيت متعجبا وأنا أنظر إليه

فنظر إلى شزرا وقال :

ـ يا إبراهيم : تعجب من قوى يحمل ضعيفا ويرفق به ؟

ثم دمعت عيناه ، وأرسل الدموع

فقلت :

ـ لا يا حبيبى

وتركته على حاله ومضيت إلى مكة

فلما دخلت البيت الحرام رأيته يطوف حول الكعبة وهو يزحف زحفا

* أعجب ما رأيت فى البادية

تقول ميمونة :

كان ابن زياد المقيم بكلواذى حريصا على مجلس إبراهيم الخواص ، وكان قد بكى حتى ذهبت عيناه ، سأل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص يوما :

ـ ما أعجب ما رأيت فى البادية يا أبا اسحاق ؟

قال إبراهيم الخواص :

كنت ليلة من الليالى فى البادية فنمت على حجر فإذا أنا بشيطان قد جاء وقال :

ـ قم من ها هنا

فقلت :

ـ اذهب

فقال الشيطان :

ـ أرفسك رفسة فتهلك

فقلت فى غير مبالاة :

ـ افعل ما شئت

فرفسنى فوقعت رجله على كأنها خرقة

فقال الشيطان :

ـ أنت ولى الله ، من أنت ؟

قلت :

ـ أنا إبراهيم الخواص

قال الشيطان :

ـ صدقت

ثم قال

يا إبراهيم : معى حلال وحرام

فقلت :

ـ أين الحلال ؟

قال الشيطان :

ـ ها هو رمان من الجيل المباح

ثم سكت ونظر إلى وقال :

ـ لم تسألنى عن الحرام ، ها هو حوت مررت على صيادين وهما يصطادان فتخاونا، فأخذت الخيانة

ثم قدم إلى الرمان وقال :

ـ فكل أنت الحلال ودع لى الحرام

* يا عبد هواه

كانت ميمونة تجتهد بالليل وكانت من أصحاب السهر بالقرآن

وكانت تقول :

يا أسير دنياه

يا عبد هواه

يا موطن الخطايا

يا مستودع الرزايا

أذكر ما قدمت يداك

وكن خائفا من سيدك ومولاك أن يطلع على باطن زللك وجفاك ، فيصدك عن بابه ، ويبعدك عن جنابه ، ويمنعك من مراقبة أحبابه ، فتقع فى حضرة الخذلان ، وتتقيد بشرك الخسران

* لا تحزنى فإنى الذى كنت أعمل ذلك

كان لإبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص وقت فترة ـ استراحة ـ كل يوم ، فكان يخرج إلى شط نهر كبير كان حواليه الخوص ، وكان أثناء تلك الفترة يقطع شيئا من الخوص وينسجه قِفافًا ـ مفرد : فقة ـ ثم يطرحها فى ذلك النهر ، كان يتسلى بذلك وكأنه مطالب به ، وظل على ذلك أياما كثيرة .

وذات يوم فكر أبو إسحاق أن يمضى خلف ما يطرحه من قفاف فى الماء لينظر أين تذهب هذه القفاف ؟

مضى إبراهيم الخواص على شاطئ النهر ساعات ، ولم يعمل قفافا فى ذلك اليوم، فوجد عجوزا قاعدة على شاطئ النهر وهى تبكى فسألها :

ـ مالك تبكين ؟

قالت العجوز :

ـ خمسة من الأيتام مات أبوهم فأصابنى الفقر والشدة فأتيت يوما هذا الموضع ، فجاء على رأس الماء قفاف من الخوص فأخذتها وبعتها وأنفقت عليهم ، وأتيت اليوم الثانى والثالث والقفاف تجىء على رأس الماء فكنت آخذها وأبيعها ، واليوم ما جاءت.

يقول إبراهيم الخواص:

فرفعت يدى إلى السماء وقلت :

اللهم لو علمت أن لها خمسة من العيال لزدت فى العمل

ثم قال أبو إسحاق للعجوز :

ـ لا تغتمى فإنى الذى كنت أعمل ذلك

تقول ميمونة :

ومضى أبو إسحاق مع العجوز الفقير فقام بأمرها وبأمر عيالها اليتامى سنين مع الله

تقول ميمونة :

حدثنى حامد الأسود فقال :

ـ لا تغتمى فإنى الذى كنت أعمل ذلك

ومضى إبراهيم الخواص مع العجوز الفقير فقام بأمرها وبأمر عيالها اليتامى سنين

* مع الله

يقول حامد الأسود :

كنت مع إبراهيم الخواص فى سفر فدخلنا إلى بعض الغياض ، فلما أدركنا الليل إذ بالسباع قد أحاطت بنا ، فجزعت لرؤيتها وصعدت إلى شجرة ، ثم نظرت إلى أبى إسحاق وقد استلقى على قفاه فأقبلت السباع تلحسه من قرنه إلى قدميه وهو لا يتحرك ولا يلقى لها بالا .

ثم أصبحنا وخرجنا إلى منزل آخر ، فرأيت بقة ـ حشرة صغيرة ـ وقعت على وجه إبراهيم الخواص فلسعته فقال :

ـ أخ

فقلت :

ـ يا أبا إسحاق : أى شىء هذا التأوه ؟ أين أنت من البارحة ؟

قال إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص :

ـ ذاك حال كنت فيه بالله ، وهذا حال أنا فيه بنفسى

* اللهم إنى أستعديك على نفسى .

تعلقت ميمونة بأستار الكعبة وراحت تقول :

اللهم إنى أستعديك على نفسى

ثم علا نشيجها وقالت من خلال دموعها :

يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون

أسألك أن تجعل خير عمرى آخره

وخير عملى خواتمه

وخير أيامى يوم لقائك

تقول ميمونة :

رأيت فى الطواف شيخا أعجميا والناس يتضرعون ويدعون وهو ساكت

فقلت له :

ـ ألا تدعو ؟

فمد يده ورفع بها شيبته وقال :

ـ يا خداه ـ بضم الخاء كلمة فارسية معناها : الرب ، الله تعالى ـ شيخ ـ أى يالله أنا شيخ ـ

ولم يزد على ذلك .

* اشتريت هذه الجلسة من الله عز وجل

تقول ميمونة :

obeikandl.com

بينما كنت أطوف مع أبى إسحاق رأينا شابا مئتزرا بعباءة ، متشحا بأخرى كثير الطواف والصلاة ، فوقع فى قلب إبراهيم الخواص محبته

ورزق الرزاق أبا إسحاق بأربعمائة درهم فحملها وانطلق إلى ذلك الشاب فوجده جالسا خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، فوضع أبو إسحاق المال على طرف عباءة الشاب وقال له :

ـ يا أخى : اصرف هذه القطيعات فى بعض حوائجك

فقام الشاب وحمل الدراهم وبددها فى الحصى وقال :

ـ يا إبراهيم : اشتريت هذه الجلسة من الله تعالى بسبعين ألف دينار عين ـ العين : الذهب مضروب خلاف الوَرِق : الفضة ـ ، تريد أن تخدعنى عن الله عز وجل بهذا الوسخ ؟

يقول إبراهيم الخواص :

فما رأيت أعز منه وهو ينظر ، وأذل منى وأنا أجمعها من بين الحصى

ثم قام الشاب ومضى

* دواء القلب

تقول ميمونة :

سمعت أبا إسحاق يقول :

دواء القلب خمسة أشياء :

قراءة القرآن بالتدبر

وخلاء البطن وقيام الليل

والتضرع عند السحر

ومجالسة الصالحين

obeikandl.com

* الكلب

كان أبو إسحاق جالسا فى مسجد الرى وعنده جماعة إذ سمع ملاهى ـ ملاه ـ من الجيران ، فاضطرب من ذلك من كان فى المسجد وقالوا :

ـ يا أبا إسحاق : ما ترى ؟

فخرج إبراهيم الخواص من المسجد نحو الدار التى فيها الغناء والمنكر ، فلما بلغ طرف الزقاق إذ كلب رابض ، فلما دنا أبو إسحاق منه نبح عليه وقام فى وجهه.

فرجع إبراهيم الخواص إلى المسجد ، وتفكر ساعة ، ثم قام مبادرا ، وخرج فمر على الكلب فبصبص الكلب ـ حرك ذنبه أى ذيله ـ له .

ولما قرب أبو إسحاق من باب الدار خرج إليه شاب حسن الوجه وقال :

ـ أيها الشيخ لم انزعجت ؟ كنت وجهت ببعض من عندك فأبلغ لك كل ما تريد ، وعلى عهد الله وميثاقه لا شربت أبدا

وكسر الشاب جميع ما كان عنده من الشراب وآلات الطرب وصار يحضر مجلس أبى إسحاق

ورجع إبراهيم الخواص إلى مسجده ، فلما جلس سئل عن خروجه فى أول مرة ورجوعه ، ثم خروجه فى الثانية وما كان من أمر الكلب .

فقال أبو إسحاق :

ـ نعم إنما نبح على الكلب لفساد كان قد دخل على فى عقد بينى وبين الله لم أنتبه له فى الوقت ، فلما رجعت إلى الموضع ذكرته ، فاستغفرت الله عز وجل منه ، ثم خرجت الثانية فكان ما رأيتم ، وهكذا كل من خرج لازالة منكر فتحرك عليه شىء من المخلوقات فلفساد عقد بينه وبين الله عز وجل ، فإذا وقع الأمر على الصحة لم يتحرك عليه شىء .

* * *

أم هـــارون

تابعية ثقة

من ربات العبادة والصلاح والزهد والتقشف

تتلمذ لها أبو سليمان الدارانى الزاهد الكبير

وحكى عنها عبد الرحيم بن صالح الدارانى وأحمد بن أبى الحوارى وعبد العزيز بن عمير وقاسم الجوعى عابدة من عابدات خراسان فقد عرفت بأم هارون الخراسانية .

* ذاك رجل أحب الطاعة

سأل أبو سليمان الدارانى أم هارون فقال :

ـ ما تقولين الرجل يحب لقاء الله ؟

قالت أم هارون :

ـ ويحك ذاك رجل ثقلت عليه الطاعة وأحب الراحة منها

فقال أبو سليمان الدارانى :

ـ فإنه إذا أحب البقاء فى الدنيا

قالت أم هارون :

ـ بخ بخ ذاك رجل أحب الطاعة وأحب أن يبقى لها وتبقى له ثم سلم

فقال أبو سليمان :

ـ أتحبين الموت ؟

قالت أم هارون الخراسانية :

ـ لا

obeikandi.com